دراسة مقارنة لأساليب ومناهج الصيانة
للمواقع الأثرية والمدن التاريخية●

مقدمة : Introduction

حظيت المدن التاريخية ، والمواقع الأثرية ، بكثير من الاهتمام والعناية بصيانتها ، والارتقاء بها ، خاصة في العقود الأخيرة من القرن العشرين ، كون هذه المناطق تمثل تراثا حضاريا ينبغي الحفاظ عليه . ذلك الاهتمام والعناية الذي يعتبر الإطار الأعم والأشمل لمفهوم صيانة وترميم الآثار ، نظرا لتعدد الإجراءات التي ينبغي عملها لعناصر تراثية وحضارية بهذه المناطق ، بدءاً من المبنى الأثري ، ومرورا بالشوارع والحارات ذات الطابع الخاص ، والمنازل بطرزها المميزة ، وانتهاءً بالحرف التقليدية ، والعادات والتقاليد السائدة لسكان هذه المناطق . إن هذه المواقع تعتبر منظومة تراثية ذات طرز معمارية وفنية تتميز بأصالتها ، وامتدادها في أعماق التاريخ ، كما يعزز من ثراء ذلك المحيط العمراني، ما يميز كثير منه من توافق وانسجام لطابعه ، الأثري والجمالي ، وتسلسله التاريخي . وبمعني آخر ، فإن هذه المواقع الأثرية ما هي إلا حيز كبير لنسيج حضاري متوارث، ومتتابع الحلقات، دون تعارض أو عدم تآلف، يمكن من خلال فهم وإدراك صورا لجميع نواحي الحياة التي كانت .

وقد تباينت الدول التي بحوزتها هذا التراث فيما بينها في خطط الصيانة – المنهج وتطبيقه– التي أجريت لعديد من المواقع الأثرية والمدن التاريخية ، رغم ما يحكم هذه الخطط من هدف واضح متفق عليه، ورغم ما ينظم ذلك من أسس وقواعد وقوانين دولية متفق عليها. ولا شك في أن هذا التباين له من الأسباب المنطقية ، والتي يمكن تحديدها من خلال إلقاء الضوء على تلك الدراسات، والإحاطة بتفاصيلها، منهجا وتطبيقا، وعلاقة ذلك بالمكان المعني بالصيانة ، أو بما يحيط به من ظروف اجتماعية واقتصادية .

وإذا كانت الدراسة هنا معنية بالإحاطة بالأساليب والمناهج المختلفة التي أتبعت في صيانة المدن التاريخية والمواقع الأثرية ، عالميا وعربيا ومصريا ، فإن عرض هذه الدراسة، وما ستتمخض عنه من نتائج ، يمكن أن تكون مرجعا ، أو تجارب سابقة يمكن الاستفادة منها في الدراسات المستقبلية ، مع الأخذ في الاعتبار الطبيعة المميزة لكل مكان معني بالصيانة .

ولدراسة أساليب ومناهج الصيانة للمدن التاريخية والمواقع الأثرية ، فإن يقترح تناولها ارتباطاً بالمحاور التالية :

١- دراسات وتجارب عالمية في مجال :

- صيانة المحيط العمراني وتطويره . - إعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها .

٢- دراسات وتجارب عربية في مجال :

- صيانة المحيط العمراني وتطويره. - إعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها .

٣- دراسات وتجارب مصرية في مجال :

- صيانة المحيط العمراني وتطويره . - إعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها

● د/ السيد محمود البنا : جامعة القاهرة – كلية الآثار - قسم الترميم .

٤- نتائج الدراسة المقارنة .

أولاً : دراسات وتجارب عالمية :

١- في إطار المحيط العمراني وتطويره :

(أ) مدينة سبليت Split (بيوغسلافياسابقاً) :

تعتبر الدراسة التي قام بها Tomislav Marasovic , 1975[1] ، من الدراسات المتكاملة في مجال صيانة وتطوير المحيط المعماري للمناطق الأثرية ، والمدن التاريخية ، وذلك تطبيقا على مدين Split ، إذا تناولت الدراسة الإجراءات والخطوات المنهجية التي يجب إتباعها في حماية وصيانة وتطوير المناطق الأثرية ، أو المدن التاريخية ، ذلك المنهج الذي أتبعت فيه المحاور التالية:

١- **التعريف بالمدينة** ، وقيمتها التاريخية ، إذ تمثل مدينة " سبليت " كيانا حضريا يضم مركزا تاريخيا ذا قيمة معمارية عالية ، وتؤلف بشكل استثنائي مركزا تاريخيا مهما ككل ، ومن أشهر ما تضمن من مبان ، قصر " دايو كليشيان " ، وهو واحد من الآثار المعمارية الهامة من الفترة الرومانية المتأخرة ، إضافة لبعض الكنائس التي تعود إلى فترة ما قبل الرومانسيك ، وبيوت الرومانسيك ، ومباني الكاتدرائيات ، وبعض القصور القوطية المتأخرة ، ثم مبان من عصر النهضة والباروك . كما أن قيمة المدينة الجوهرية تكمن في تركيبها الحضري نفسه ، والذي هو توليفة متناسقة من النمط الشائع في القرون الوسطى ، أنشئت وفق المخطط الروماني .

٢- **عرض للمشاكل** التي تواجه هذه المدينة ، والتي أهمها : الظروف المعيشية السيئة في مركز المدينة المكتظ بالناس ، والوظائف غير الملائمة للطابق الأرضي للمباني، والتنظيم غير الكفء للمرور، والحالة السيئة لكثير من المباني بسبب إهمالها .

٣- **الدراسة التفصيلية** لمركز المدينة التاريخي ، ويشمل :

- تعيين وتحديد المشاكل .
- أعمال المسح المفصل للمدينة ، والتوثيق والتحليل للمباني الأثرية .
- أعمال المسح المفصل ، والتحليل ، للظروف المعيشية ، والصحية للسكان ، وكذلك للمساكن .
- التحليل الديموغرافى .
- دراسة وتحليل حركة المرور .
- دراسة عوامل ومسببات تداعي المباني .

وعلى ضوء هذه التحليلات ، أمكن التحديد بدقة لإطار برنامج الحماية والإحياء والتطوير للجزء القديم من المدينة ، والذي يقوم على العناصر التالية :

- إعادة بناء البيوت القديمة ، والمتداعية ، وترميمها ، وتحويلها إلي مرافق خدمية وفقا للدور المرسوم للمركز التاريخي ، أو إلي شقق تحتوي على وسائل الراحة الحديثة ، نظرا للكثافة السكانية، وتضاؤل المناطق السكنية بشكل ملحوظ . أما بعض المباني الآيلة للسقوط ، والتي لا تحمل أي قيمة فنية أو تاريخية ، فينبغي إزالتها .

ب- منع الاستخدام غير الملائم للفراغات في الطابق الأرضي في بعض المباني ، وخلق أنشطة جديدة ، وأماكن أخرى للوظائف الحيوية (تجارية – سياحية – خدمية – ثقافية – تربوية، وغيرها) .

ج- تقييد (تنظيم) حركة السيارات في الشوارع المزدحمة ، وإحداث أماكن لانتظار السيارات حول الجزء القديم في المدينة . وكذلك تنظيم حركة المشاة لإحياء بعض الشوارع المهملة.

د- تحسين الخدمات التحتية (مياه الشرب – صرف صحي – كهرباء) وإزالة الأسلاك الكهربائية التي تفسد مظهر الشوارع في الجزء القديم من المدينة ، وإضاءة المباني الأثرية المنفردة.

(ب) ضاحية ماري Marais بباريس :

ومن الدراسات التي أجريت في شأن التطوير للمناطق الأثرية الأوربية وصيانتها ، وكتجربة أخرى في هذا المجال ، ما أنجز في فرنسا من سن قانون ملائم لصيانة المراكز القديمة بالمدن ، وذلك في عام ١٩٦٢ م ،اختير لذلك حوالي ٥٠ مركزا بالمدن ، ضمن مشروع للصيانة والتطوير ، أهتم بتصنيف المباني التاريخية ، وإجراء أعمال الترميم التي امتدت على مدار سنوات عديدة ، لكي لا تصطدم بالمعوقات الحرفية والمالية ، إذ رممت عديد من المباني القديمة في مراكز مدن : باريس Paris وماري Marais و Mont ferrand وليون Lyon[٢].

وعن حي أو ضاحية ماري Marais بمدينة باريس ، وتفصيلا لخطة صيانته كنموذج ، وتطبيق لمنهج في هذا الإطار ، وارتباطا عمليات الصيانة بمحيط المنطقة وطابعها ، لا بأثر منفرد ، فإن إجراءات الصيانة والتطوير ، تضمنت المحاور التالية [٣] :

١- الإشارة ألي أهمية صيانة هذا الحي ، وكونه من الأحياء المتميزة تاريخيا ، وما يضمه من فنادق متميزة يرجع تاريخها إلي القرن ١٦ ،١٧ م ، وكذلك منازل النبلاء والأغنياء ، والقائمة بشوارع وحارات ضيقة ، ويجاورها كذلك منازل قديمة متواضعة ، كما يميز هذا الحي ، ما يتواجد به الآن من حرف لها مهاراتها المتخصصة ، مثل صناعة المجوهرات ، والساعات ، وصانعي الأسلحة القديمة (مثل السيوف والدروع) ، وحرف خاصة مثل الأشرطة المزينة للملابس Ribbons, Lace ، الأزرار Buttons ، والزهور الصناعية ....الخ . وكثير من هؤلاء الحرفيين ما يزالون يعملون في المنطقة، ولهم محلاتهم، ومساكنهم، إلا أن ومنذ عام ١٩٦٠م ، بدأ هؤلاء في النزوح من هذه المنطقة ، حيث الأحياء الأخرى ، والمنازل والحياة الحديثة . وفي عام ١٩٦٥ م أعلن أن ضاحية " ماري " من أوائل المناطق الفرنسية التي يجب صيانتها ، والحفاظ على طابعها المتميز ، ومن ثم وضعت المباني المسجلة ضمن حيز التحكم والاهتمام .

٢- أن من أهم ملامح إجراءات الصيانة التي طبقت في هذا الحي ، أو هذه الضاحية :

- الأخذ بمبدأ التعاون بين شاغلي المباني الأثرية ، والجهات المختصة بالصيانة ، لكي يساهموا في صيانتها ، وأنه لا يجب إحداث أي شئ بالمبني إلا بعد الرجوع إلي هذه الجهات . وفي هذا الإطار أيضا ، تم تدعيم الملاك بعشرين في المئة من التكلفة ، وستين في المئة كقرض ، الإجراء أعمال الترميم والصيانة ، أما في حالة رفض الملاك ذلك ، يصادر المبني .

- بعد صدور القانون الخاص بحماية وصيانة المحيط ، وشخصية الموقع التاريخي سنة ١٩٦٢ م ، لم يسمح بأي أعمال من شأنها تغيير البيئة ، والمظهر العام للمباني ، ولا أي إنشاءات جديدة ، ولا أي تعديلات بالمكان إلا بموافقة الجهة المسئولة .

- وللحفاظ على خصوصية المكان أو الحيز المكاني، وشخصية المكان، ومواصفاته ، فإن عديد من الفنادق وظفت كمتاحف ، مثل متحف بيكاسو Museé Picasso.

Museé carnavalet , Museé Kwok , Museé dela Serrureia .

- كان للتبرعات دورها في هذا المجال .

- إحداث جراجات تحت الأرض .

- لما كان الهدف ليس فقط تأهيل آلاف المباني ، وإنما المحافظة على توازن المزيج الديموغرافي التقليدي للمنطقة ، فقد تم تبني اتجاه مرن لتشجيع الصناعة الصغيرة للبقاء في المنطقة ، وذلك بالإبقاء على بعض المباني – التي تقرر إزالتها ضمن خطة الصيانة – ذات مواصفات خاصة ، من حيث الشكل والموقع، لاستخدامها في هذا الاتجاه . إذ أعتبر ذلك مساهمة إيجابية في الحفاظ على المحيط الحي للمنطقة .

(جـ) مدينة " كازريميرز " Kazimierz ببولندا [٤] :

والتي أعتمد فيها إعداد الخطة للصيانة ، ثم تنفيذها ، على تقسيم الموقع المعني بالصيانة إلي نطاقات مختلفة ، إذ قسم مضمون منطقة الدراسة إلي ثلاثة عناصر :

١- صيانة الأجزاء قليلة الأهمية .

٢- الملامح الأكثر أهمية للمنطقة التاريخية .

٣- الشكل العام للمحيط المدني The Landscape.

ويتفرع عن ذلك عناصر أخرى ،مثل الشوارع والحارات والميادين .

ثم قسمت وحدات المدينة طبقا لقيمتها بوحدات أربعة :

١- محمية مصانة ٢- صيانة جزئية ٣- صيانة أولية

٤- النطاقات المحيطة ، والشكل العام .

مع ضرورة التحديد – ضمن خطة الصيانة – لإجراءات الصيانة والترميم لكل نطاق من النطاقات السابقة ، مثل التدعيم ، وإعادة البناء ، وأي عمليات أخرى مطلوبة . وهذه التقسيمات ، الهدف منها إعطاء مقدمات صحيحة لصيانة المدينة وتطويرها ، والحفاظ على ملامحها الأصلية ، من خلال وضع خطوط مرشدة لأشكال وأنماط جديدة يمكن إضافتها للعمارة القديمة (كباري مثلا) ، وبهذه الطريقة يمكن الإبقاء على الشخصية المميزة .

(د) منطقة السوق بمدينة إسطنبول (تركيا) [٥] :

تمثل منطقة سوق المدينة ، وشارع Suğuk Cesme بمدينة إسطنبول منطقة جذب سياحي ،لما فيها من مباني أثرية وقصور ومتاحف و معابد . كما تتميز أيضا بكونها منطقة معزولة بالكامل عما يجاورها بمدينة إسطنبول ، فهي منطقة فقيرة ، ومزدحمة ، والشارع مغطى ومظلل بالمخازن ومحلات الحرف ، وبالتالي تميزت المنطقة بالزحام الشديد ، ونتيجة لذلك ، فإن مشروع الصيانة والتطوير ، خطط لكي يشجع على هذا النمط من الاستخدام (مزارات سياحية Tourist use)، وفي نفس الوقت الحماية والصيانة للفراغ المعماري الأصلي The original architectural space .

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف :

- تقرر أن تكون المنطقة المعنية بالصيانة قاصرة على الاستخدامات العامة ، وأن تؤول الأوقاف إلي الملكية العامة .
- وتقرر أن تكون الدراسة حرة ، أي بمنأى عن أي حلول مسبقة ، وقد أستدعى ذلك تقييما شاملا لمميزات ومواصفات المنطقة ، أثريا ومكانيا ووظيفيا ، شاملا ذلك مسحا كاملا للمباني الأثرية ومدى النفع منها، ووسائل النقل منها وإليها، والبنية التحتية Infrastructure ، وعلاقة كل ذلك بالمدينة ، إضافة إلي استنتاج النمو المستقبلي لهذه المنطقة .
- وكانت الخطوة التالية لذلك ، التطوير لهذا البرنامج الشامل من قبل الوزارة المعنية ، والمراكز البحثية بالجامعات .
- وضع خطة واضحة الملامح لكيفية البناء داخل هذا النطاق ، ووضع النماذج Modelsالتي يسمح بتنفيذها .

(هـ) مدينة جاكرتا بإندونيسيا [٦]:

أنشئت مدينة جاكرتا القديمة عام ١٥٢٧ م كمدينة تجارية مشهورة زمن الإحتلال البرتغالي لإندونيسيا ، وتعاني المدينة كغيرها من المدن مشاكل مختلفة ،أهمها زيادة معدلات البناء الجديدة ، والتي تهدد بالإحلال محل المباني القديمة ، إضافة إلي شق الطرق العريضة والسريعة High ways ، مما يعني القضاء على طابع المدينة التقليدي .

وفي مواجهة مظاهر التحديث السريع هذه ، توجد الإهتمام بالصيانة والتأهيل لميدان المدينة المسمى بميدان Taman fatahillah ، وذلك بإتخاذ خطوات قائمة على :

١- الاعتماد على الخرائط القديمة لمعرفة التفاصيل التي كانت عليها عناصر هذا الميدان، وتوظيفها في أعمال الترميم . كما أعتمد أيضا في ذلك على الصور القديمة التي سجلت لهذا الميدان في القرن ١٨ م وكان نتاج ذلك إمكانية البناء للشكل الصحيح للنافورة التي كانت موجودة بهذا الميدان .

٢- توظيف وإعادة استخدام كثير من المباني المحيطة بهذا الميدان ، والتي بنيت على طراز معماري هولندي متوافق مع المناخ الإستوائي ، والتي ظلت مستخدمة كضواحي عسكرية حتى قبل ترميمها مباشرة . وقد أعيد استخدام كثير من هذه المباني ، كما هو الحال في إعادة استخدام القصر الرئيسي في المدينة القديمة كمتحف لمدينة جاكرتا .

وعلى المستوى العالمي أيضا ، يمكن ذكر بعض الإجراءات التي اتخذت في دول أوروبية مختلفة ، كان الهدف منها صيانة المحيط المعماري لمراكز المدن التاريخية ، ومن ذلك إحداث عدد جراج تحت مستوى سطح الأرض في مدينة سالزبورج Salzburg بالنمسا ، وبسعة ١٠٠٠ سيارة لكل منهما ،

حماية لحارات وشوارع مركز المدينة التاريخي من مشاكل المرور. وفي مدينة وارسوبيولندا، أنشئت شركة للترميم (P.K.Z) ، من أولويات أهدافها ،التدريب على الصناعات الحرفية ، وتقنيات البناء القديم ، إذا يساعد ذلك بالطبع في أعمال الترميم والصيانة بشكل عام ، وإستمرارية تواجد هذه الحرف والتقنيات [٧] .

٢- في إطار إعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها :

كان للوظيفة المختارة للمباني الثرية والتاريخية التي توقف استخدامها ، مظاهرها المختلفة ، ومن ذلك وعلى سبيل المثال :-

١- إعادة استخدام مبني سكني فرعا لبنك ، وهذا المبني يقع بمدينة Connecticut بالولايات المتحدة الأمريكية ، بني سنة ١٧٦٩ م [٨].

٢- قصر الإمبراطور الصيني (١٤٠٣م) ، حيث أعيد استخدامه كمتحف عالمي [٩].

٣- قصر " كادورو" (١٤٢٤ – ١٤٣٦م) ، وهو من أشهر مباني مدينة فينسيا بإيطاليا ، ذو واجهة من الرخام الأخضر ، وقد تم ترميم هذا القصر ، وأعيد استخدامه كمتحف للفنون [١٠] .

٤- قصر هلمسلي (١٨٨٢ م) Helmsley palace ، وهو أثر تاريخي في مركز مدينة (مانهاتن) بالولايات المتحدة الأمريكية ، تم ترميمه ، وأعيد استخدامه كفندق [١١] .

٥- إعادة استخدام مبني سكني فرعا لشركة تجارية ، ويقع هذا المبني في ميدان Rittenhouse بمدينة فلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وكان هذا المبني قد بني سنة ١٨٩٧ م لصالح واحدة من أغني الشخصيات بالمدينة [١٢] .

٦- قصر دايوكليشيان ، الذي يتوسط مدينة سبليت Split بيوغسلافيا سابقا ، إذ وظف البرج الجنوبي الشرقي لهذا القصر ، قاعة للمحاضرات [١٣] .

٧- وفي مدينة "جاكرتا " بإندونيسيا ، واستكمالا لخطوات التأهيل للمباني الأثرية المحيطة بميدان Taman Fatahillah ، فقد وظف القصر الرئيسي في هذه المنطقة متحفا لمدينة جاكرتا ، كما أن كثير من المباني المحيطة بهذا الميدان ، وظفت إما متحفا للصور الزيتية والسيراميك ، أو متحفا ومسرحا للعرائس Museum and theatre for puppetry ، ذلك الفن القديم بإندونيسيا ، والذي لا يزال سائدا [١٤] .

ثانيا : دراسات وتجارب عربية :

١- في إطار صيانة المحيط العمراني وتطويره :

وفي الإطار العربي ، فقد آجري لكثير من المدن التاريخية الإسلامية المنتشرة في أرجاء العالم العربي عديد من الدراسات ، والتطبيقات ، في مجال صيانة هذه المدن ، وتأهيل مبانيها ، وصيانة محيطها المعماري ، ومن ذلك وعلى سبيل المثال :

١- مدينة جده [١٥] :

على أثر الضغط السكاني ، و الامتداد العمراني لمدينة جده ، لم يستطيع سور المدينة مواجهة هذه الضغوط ، فتم هدمة ١٣٦٧هـ ، وبدأ الزحف العمراني السريع على السهول المحيطة، في أشكال وأنماط حديثة ، بدأ على أثرها فقدان المدينة لوجهها الحضاري ، وعندما بدأت الدعوة إلى

تأصيل القيم الحضارية في المدينة العربية تظهر وتنتشر ، استجاب لها القائمون على شئون التنمية العمراني في المدينة ، ليس من باب مسايرة الفكر الجديد ، ولكن أيضا – وهذا هو المهم – من واقع الاقتناع بوجوب العمل على استمرار المد الحضاري في المدينة الإسلامية المعاصرة .

وقد قامت أمانة مدينة جده ، بتنفيذ بعض المبادئ التي استنبطت من واقع الممارسة العملية لتطبيق النظرية التخطيطية والمعمارية في المدينة ، على النحو التالي :

أ- المحافظة على المدينة القديمة بكامل مساكنها ، وترميمها وتشجيع أصحابها على إعادة تخطيط استخدامها ، للتحول من أطلال قديمة ، إلي أسواق ومطاعم لأكلات شعبية ، أو مصانع يدوية لمنتجات محلية أوشكت على الانقراض .

ب- تشجيع أصحاب المساكن التي تم بناؤها على النمط الغربي ، على كسوة شرفاتها بمشربيات خشبية ، مع التركيز على اللون الأبيض في الواجهات ، سواء بالجير لذوى الدخل المحدود ، أو الطرطشة البيضاء لذوى الدخل المتوسط ، أو بالكسوة بالرخام الأبيض لمن هم أعلا دخلاً . صورة رقم (١) .

٣- قيام أمانة جده بمنح التراخيص للأبنية الجديدة ، بحيث تلتزم بالتعبير عن خصائص العمارة الإسلامية في التصميم الخارجي بالضرورة ، والداخلي إن أمكن . وفي سبيل ذلك تمنح جائزة سنوية لأحسن مبني تم تنفيذه بالمدينة ، وحافظ على الهوية الإسلامية .

٢- مدينة فاس [١٦] .

من المدن العربية الإسلامية التي حظيت بالاهتمام ، ويعتبر مشروع إنقاذها رائدا في هذا المجال ، إذ تم إعداد تخطيط ينظم نمو المدينة، من تاريخ إعداد هذه الخطة سنة ١٩٧٨ م وحتى عام ٢٠٠٠م، انبثق عن هذا النظام برنامجاً تنفيذياً لإنقاذ المدينة ، اشترك في إعداده مجموعة من خبراء اليونسكو ، مع الفنيين المحليين ، وذلك في مواجهة نمو مجموعات حضرية جديدة على نمط غربي حول المدينة القديمة ، التي بدأ يصيبها الإهمال ، وتدهور مرافقها ، حتى أصبحت مهددة بالزوال. وأسفرت هذه الدراسات عن خطة للصيانة ، أهم ملامحها:

١- المحافظة على المدينة بكل مقوماتها العمرانية .

٢- تعمير المنطقة الشرقية بالمدينة على النمط الإسلامي ، بحيث يضمن توازنه مع المدينة القديمة .

٣- دراسة مصادر التمويل ، والتي قدرت مبدئيا بحوالي ٦٥٠ مليون دولار ، وأقترح لذلك مصادر مختلفة : مصادر محلية ووطنية ، مثل مساهمات الدولة والبنوك والصناديق الخاصة والاكتتاب العام . مصادر دولية ، من الصندوق الخاص باليونسكو ، وبرنامج الأمم المتحدة للإنماء، أو البنك الدولي ، وغير ذلك .

٤- إنشاء منطقة جديدة للحرفيين امتداداً لمثيلاتها بالمدينة القديمة ، وذلك لامتصاص الفائض السكاني الذي تختنق به المدينة .

٥- وفي إطار التنمية الحضرية ، أو التطوير للمدينة القديمة ، كان توفير المتطلبات العاجلة في الميدان التربوي والثقافي والصحي والإداري والتنظيمي ، مع تجديد وإصلاح البنية التحتية للمدينة بتقوية وإصلاح شبكات المياه والمجاري والكهرباء ، وتنظيم الطرق ووسائل النقل الداخلية . ثم تنمية البيئة الطبيعية للمدينة ، خاصة في وادي فاس ، والبرج الجنوبي ، وربوات " المرينيين " ، ومنحدرات جبل " زلاغ " ، بالإضافة إلي تنمية النسيج الحضري للمدينة ، وإعادة النشاط لمراكز

الأحياء فيها ، مع تجديد المباني والأقسام القديمة ، وترميم المباني الأثرية والحفاظ عليها ، وإنماء وظائفها الأساسية ، مع إنعاش النشاط الحرفي والتجاري ، وتطوير الأسواق القديمة ، والفنادق .

٣- مدينة بغداد [١٧]:

من منطلق الحفاظ على النسيج العمراني للمدن الإسلامية التاريخية ، وضرورة الحفاظ على أسلوب الحياة الذي يعكس التقاليد الاجتماعية ، والقيم المعمارية للمجتمعات الإسلامية ، قرر المسئولون عن مدينة بغداد القيام بصيانة بعض المناطق التاريخية المحيطة بها ، مثل منطقة "الجيلاني " منطقة "باب الشيخ " .

وتعتبر منطقة " الجيلاني " منطقة مزارات أثرية بالمدينة ، أقترح لصيانتها ، وتطوير محيطها العمراني ، الإجراءات التالية :

١- إقامة الخدمات الحديثة تحت الأرض ، حتى لا تخترق النسيج العمراني للمنطقة .

٢- استبدال هيكل المباني القديمة (المنازل) بمبان حديثة من دورين أو ثلاثة وبطابع يتمشى مع المباني التقليدية بالمنطقة .

٣- روعي في دراسة المنطقة ، محاولة صيانتها وتطويرها ، من خلال إحداث مناخ معيشي مريح للسكان ، وذلك لكسب ثقتهم ، وترحيبهم بمميزات نظم الإصلاح ، بدلا من الاستياء من القيود، واستنكار التحفظات .

٤- توفير أماكن انتظار السيارات خارج المنطقة الخاصة بالمشاة ، وفي نفس الوقت قريبة من مناطق الأنشطة المختلفة ، والمباني السكنية ، لتوفير الراحة للسكان . كما يجب أن يشتمل التطوير على مد جميع أجزاء المنطقة بالخدمات والمرافق ، مثل المياه الصالحة للشرب، والكهربا، وشبكة الصرف الصحي ، وتوفير الموصلات العامة ، وكافة الخدمات ، من جمع القمامة وتوفير أسباب الأمن بالمنطقة .

٥- وضع إطار عمل قانوني يسمح بمنح ملاك المباني مساعدات مالية مقابل تكاليف ، أو جزء من تكاليف إصلاح المنشآت التاريخية ، أو تركيب ، أو إدخال الخدمات الضرورية والمرافق الأساسية .

أما منطقة "باب الشيخ " ، وهى أحد الأحياء القديمة بمدينة بغداد ، فقد أقترح لصيانتها وحفظها ، الإجراءات التالية :

١- تحديد منطقة الحفاظ (الدراسة)، ووضع حدود لها ، ثم إعلام كل من يمتلك عقاراً في هذه المنطقة ، بحقوقه وواجباته .

٢- كل تنمية ، أو إصلاح، لأي عقار، لابد و أن يخضع لنظم التخطيط الموضوعة ، من حيث الإزالة الإحلال والامتداد ، أو تغيير الاستخدام . كما تتولى سلطات المدينة إصلاح المباني التاريخية في المنطقة المحافظ عليها ، والتي لا تسمح الحالة المالية لمالكيها بإجراء الترميمات اللازمة لها ، مع منح ملاك المباني التاريخية مساعدات مالية تغطي تكاليف أعمال الترميم المطلوبة.

٣- تسجيل جميع المباني التاريخية ، ووضعها في جداول زمنية لتطبيق مشروع الصيانة، بغرض الحفاظ على المباني التاريخية .

٤- الحد من حركة السيارات داخل المنطقة ، وتوفير أماكن لانتظار السيارات في مناطق قريبة ليسهل الوصول إليها عبر ممرات المشاه . كما يجب أن يشق شارع " الكفاح " تحت الأرض حتى لا يقطع النسيج العمراني .

٥- استبدال واجهات المحال التجارية الحالية بواجهات تقليدية .

٣- **مدينة حلب :**

من المدن الغنية بآثارها الإسلامية ، لا يضارعها غنا بهذه الآثار إلا مدينة القاهرة ، وما زالت المدينة تحتفظ بشخصياتها وطابعها المعماري الفريد ، بمبانيها وحاراتها وشوارعها وخاناتها وأسواقها وجوامعها وقلعتها ومدارسها ..... وغير ذلك . ومما ساعد على استمرارية تواجد المدينة بطابعها التقليدي ، هو التبكير باتخاذ الإجراءات القانونية بشأن هذه المدينة ، إذ سجلت الأحياء القديمة بها بموجب القرار الوزاري لسنة ١٩٧٦م ، ومنع الهدم والبناء والترميم لكافة العقارات الواقعة بتلك الأحياء إلا بموافقة السلطات الأثرية ، كما وضع هذا القرار مشروعا يحدد طبيعة البناء ، ومواده ، وارتفاعه ، والفتحات السماوية، والواجهات . وتألفت لجنة باسم " لجنة المدينة القديمة " للنظر في الرخص التي يقدمها أصحابها من أجل الترميم وإعادة البناء للأبنية الآيلة للسقوط ، وكل مشاكل المدينة بشكل إجمالي . وفي هذا الإطار أيضا أنشئ جهاز لمراقبة المدينة القديمة، مؤلف من عدة عناصر ، يقومون يوميا بالتفتيش على المدينة القديمة ، ويسجلون كل مخالفة، ويحيلونها إلي القضاء .كما أن من أبرز الإجراءات التي اتخذت في هذا الإطار ، ما وضعته المديرية العامة للآثار والمتاحف من خطة لاستملاك بعض المباني الهامة التي يخشى عليها من التخريب، صيانة لها، وإعادة استخدامها في وظائف تناسبها، أو في وظائفها الأصلية [١٨].

وقد أجرى لكثير من منشآت مدينة حلب أعمال ترميم مختلفة ، احتاجت – أثناء تنفيذها – إلى إعادة تنفيذ أشكال كثيرة من الزخارف المعمارية، والمزاريب الحجرية ، والنقوش ، مما أدى إلى ضرورة استخدام عدد كبير من الأيدي العاملة الماهرة في هذه الأعمال ، والتي أصبحت منقرضة ، مما ساهم في تدريب جيل جديد من العمالة في هذه الصناعة [١٩].

٤- **مدينة تونس [٢٠] :**

من المدن الإسلامية القليلة التي عرفت كيف تحافظ على وحدتها وانسجامها ، لما تحتويه من تراث غني بالآثار ، والتحف المعمارية الأصيلة الموجودة بها . وقد تمثلت إجراءات الصيانة التي تمت لهذا المدينة في العناصر التالية :

١- عمل تخطيط محدد للصيانة ، يشمل الموقع التاريخي (مركز المدينة) ، ويمتد حتى حدود العهد الحفصي .

٢- أن المبدأ العام للتطوير هو عدم تغيير المباني الموجودة بها ، سواء من حيث مظهرها الخارجي أو الداخلي .

٣- أن المناطق المحيطة بمركز المدينة ، قد فرضت عليها حدود قصوى لارتفاعات المباني بها ، مع عدم إمكانية إدخال أي تعديل على هذه المباني إلا بإذن من المصلحة المختصة. صورة رقم (٢) .

٤- إصلاح المباني المحيطة ذات الطابع الحديث إصلاحا مطابقا للأصل التقليدي ، أو تعديلها تدريجيا على الأمد الطويل .

٥- تأهيل وإعادة استخدام المباني التاريخية غير المستخدمة ، وبوظيفة تتواءم مع المحيط التاريخي للمدينة القديمة .

٦- تشجيع الأنشطة الموجودة في منطقة مركز المدينة التاريخي ، مثل الصاغة ، ومنتجات النحاس ، إضافة إلي المحافظة على طابع سوق المدينة القديم ، والذي يحتوى على مجموعة من الأسواق المتخصصة ، مثل سوق العرب ، وسوق الشماعين ، وسوق العطارة(القشاشين)، والذي بلطت أرضيتهم، كما هو الحال في شوارع المدينة القديمة، ببلاط الكدان (بلاطات صغيرة المساحة من البازلت) صورة رقم (٣) . وللحقيقة ، فلم ير مبني داخل إطار المدينة القديمة تطاول في ارتفاعه عن الحد المسموح* صورة رقم (٢) .

٦- مدينة صنعاء القديمة :

من المدن التاريخية التي ظلت على شخصيتها ، ومحيطها المعماري المتميز ، ولم تلوثها ملامح التغريب ، لا في المظهر ولا في الجوهر ، وربما كان ذلك راجعا لظروف سياسية مرت بها المدينة بشكل خاص ، واليمن بشكل عام . صورة رقم (٤) .

وقد اتخذت حيال هذه المدينة عديد من الخطوات والإجراءات التي ضمنت لها بقاؤها على ما هي علية الآن ، وتمثل ذلك في الإجراءات التالية :

١- إنشاء جهاز خاص بحماية المدينة .

٢- رصف الشوارع أو تبليطها على النمط الذي كانت عليه تقريبا .

٣- ترميم وإعادة بناء الأجزاء المتبقية من سور المدينة المحيط بها .

٤- تنظيم أعمال البناء داخل إطار المدينة القديمة .

٥- سن القوانين والتشريعات المنظمة لإجراءات الصيانة .

٦- تنظيم حركة سير المركبات داخل المدينة القديمة .

٧- ترميم كثير من المباني الأثرية ، وإعادة استخدامها .

٨- الاستعانة بالهيئات الدولية المعنية بهذا الخصوص .

٩- تنمية وتشجيع الحرف التقليدية الموجودة داخل المدينة القديمة .

٢- في إطار إعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها :

وفي الإطار العربي ، كانت هناك تجارب تتعلق بإعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها ، ومثلا لذلك ما تم إجراؤه لبعض المباني الأثرية في كل من سوريا واليمن وتونس :

ففي سوريا :

أ- إعادة تأهيل السكن القديم في جبل العرب (سوريا) [٢١] :

من منطلق الاستخدام من أجل الحفاظ ، وليس الحفاظ من أجل الاستخدام ، كانت دراسة تأهيل السكن القديم في جبل العرب (هضبة حوران جنوب سورية) تلك المنطقة التي تتميز منازلها بشكل واحد ، وببنية واحدة ، وسيطرة نمط معماري وحيد ، متمثل في البناء بحجر البازلت ، والتغطية ببلاطات حجرية مستندة على أقواس ، وكل منزل يحتوى دائما على قسمين ، الأول خاص بالإنسان،

والثاني خاص بالحيوان . وهذا النمط المعماري خاص بالمنطقة الجنوبية من سوريا ، وشمالي الأردن ، وترجع أصوله إلي أصول قديمة محلية . واقتصرت الدراسة على إعادة التأهيل للأبنية السكنية التي تعود إلي عهد العرب الأنباط ، وفترتي الاحتلال الروماني والبيزنطي ، تطبيقا على منزل (فلافيوس سيوس) في قرية " الهيات " ، والذي بنى عام ٥٧٨م ، ويسكنه حاليا شيخ القرية، بعد عمل كثير من الترميمات والتعديلات ، مع المحافظة على تقسيمات الغرف ، وإدخال بعض مظاهر التقنية الحديثة كالتسقيف بالأسمنت المسلح .

ب- وفي تجربة أخرى للتأهيل وإعادة الاستخدام للمباني الأثرية في سوريا ، وفي مدينة حلب [٢٢] ، حيث أهل و أعيد استخدام أحد البيوت القديمة بالمدينة (بيت بستاني) مركز الإحياء المدن التقليدية المحلية ، لأهمية هذه المهن ولاستفادة منها في عمليات الترميم والاستبدال والإضافة للمباني الأثرية .

وفي الجمهورية اليمنية :

حظيت كثير من المبني الثرية، خاصة في مدينة صنعاء القديمة، بترميم ثم إعادة استخدام ، ومن أمثلة ذلك :

أ- سمسرة النحاس : إذ أعد لترميمها دراسة مستفيضة قام بها خبير اليونسكو Giancarlo Barbato ، وذلك في إطار الحملة الدولية لصيانة مدينة صنعاء القديمة ، وضمن برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP ، حيث قدم دراسته في تقرير نهائي يضم مشروع ترميم السمسرة ، وذلك في مارس ١٩٨٩ م [٢٣] . وتم تنفيذ الدراسة من قبل المكتب التنفيذي لحماية مدينة صنعاء القديمة ، وبتمويل من حكومة النرويج ، ووظفت السمسرة " كمركز وطني لتطوير الحرف اليدوية [٢٤] .صورة رقم (٥) .

ب- منزل مطهر الفليحي : ويعتبر من المنازل الكبيرة بمدينة صنعاء القديمة ، والحافل بالزخارف التقليدية الجميلة، وحاليا يستأجره المكتب التنفيذي لحماية مدينة صنعاء القديمة، وذلك باستخدامه كمركز تعليمي لخدمة المجتمع (مشغل لعمال الخياطة والتطريز) . صورة رقم (٦) .

ج- دار السعادة : وقد أعيد استخدامها كمتحف وطني للجمهورية اليمنية ، يضم الآثار المختلفة المنقولة ، والتي تغطي تقريبا فترات التاريخ اليمني ، القديم منه و الإسلامي . وقد اختيرت هذه الدار لهذه الوظيفة نظرا لحجمها الكبير وفراغاتها المناسبة ألي حد كبير، إضافة إلي موقعها المتميز، إذ تطل على أكبر ميادين مدينة صنعاء (ميدان التحرير) . ويرجع تاريخ بناء هذه الدار إلي فترة الحكم العثماني الثانية باليمن ، إذ كان الطابق مستشفي عثماني ، ثم أضفيت بعد ذلك باقي الطوابق والبوابات في عهد الإمامة ، ثم سكنها الإمام يحيي حميد الدين والعائلة الحاكمة حتى عام ١٩٦٢ م . صورة رقم (٧) .

د- دار الشكر : مقر إقامة الإمام يحيي حميد الدين ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٢ م ، وهى مجاورة تقريبا لدار السعادة ، وقد وظفت الدار متحفا للموروث الشعبي ، من صناعات حرفية تقليدية ، وعادات وتقاليد محلية متوارثة . صورة رقم (٨) .

هـ - سمسرة المنصورة : وتقع في مركز مدينة صنعاء القديمة (منطقة السوق) ، وقد أعيد استخدام هذه السمسرة بعد ترميمها ، "مركزا وطنيا للفنون" ، يقوم بالعرض فيها الفنانين اليمنيين التشكيليين ، وغيرهم ، وذلك منذ عام ١٩٩٣ م . صورة رقم (٩) .

وفي تونس :

ضمن التخطيط المحدد لصيانة مدينة تونس (مركز المدينة) بالجمهورية التونسية ، كانت إجراءات التأهيل وإعادة الاستخدام لكثير من المباني الأثرية الواقعة بمركز المدينة ، ومن أمثلة ذلك : دار بن عبد الله (ق ١٩) صورة رقم (١٠) ، إذ وظفت متحفا للعادات والتقاليد الشعبية التونسية ، وبالمثل بيت بن خلدون ، إذ وظف معهدا وطنيا للتراث .

ثالثا : دراسات وتجارب مصرية :

١- في إطار صيانة المحيط العمراني وتطويره :

لم تحظ مدينة مصرية تاريخية ، على كثرتها (رشيد – فوه – المنيا – قوص – أسوان) بما حظيت به مدينة القاهرة التاريخية حتى على المستوى العالمي ، من كم هائل من الدراسات العلمية التي تناولت كل ما يتعلق بالمدينة ، بهدف الحفاظ عليها ، وصيانة ما تبقي من آثارها وتأهيله ، والتطوير والارتقاء بالمدينة ومحيطها المعماري ، وحل المشاكل والأخطار التي تواجهها .

وبقراءة عديد من هذه الدراسات[٢٥] ، نجد أن منهج الدراسة يتمحور في العناصر التالية:

١- الدراسة الميدانية وتشمل :
التعريف بالمنطقة – مميزات النسيج العمراني – المباني الأثرية وموقعها وحالاتها – مواد البناء – عدد سكان المنطقة – الأنشطة السائدة – طبيعة الخدمات بالمنطقة – طبيعة المباني بالمنطقة – مشاكل المرور ..... الخ .

٢- مقترحات الترميم والصيانة للمباني الأثرية ومحيطها العمراني ، والارتقاء بالمنطقة :

أ- إن من أهم الإجراءات التي لها صفة الأولوية في صيانة المباني الأثرية في مدينة القاهرة التاريخية ، هو ما يختص بمحيطها المدني Urban Context الذي تقع به هذه المباني .

ب- أن احتفاظ الشوارع ببعض ملامحها التقليدية ، يؤكد الحاجة إلي المحافظة على بعض العناصر ، كما هو الحال في الشوارع المغطاة في منطقة الأسواق .

جـ- حل مشكلة المرور .

د- إعادة النظر في الاستعمالات الصناعية أو التجارية المشوهة والمغايرة لطبيعة المدينة .

هـ- إصلاح شبكة المرافق بالمنطقة ، وإجراء أعمال التنمية الاقتصادية والاستثمارية والسياحية والاجتماعية ، وكذلك أعمال الطرق .

و- إصلاح وتعديل وجهات المباني المتاخمة للمباني الأثرية .

ز- التحكم في عمليات إنشاء المباني الجديدة بالمنطقة .

ح- إعادة تأهيل المباني الأثرية ، وتوظيفها في وظائف ملائمة .

ط- النظر إلي مفهوم الصيانة على أنه خلق ترابط وتجانس بيني للمنطقة ، للحفاظ على القيم المعمارية ، والصفة المميزة للمنطقة ، ارتباطاً بطبيعة المجتمع المصري .

ي- أن أولويات الصيانة لمدينة القاهرة ، يجب أن توجه لتلك المباني الأثرية الضخمة التي تميز المدينة ، والمتبقية من عصور مختلفة .

ك- توجيه الاهتمام نحو حل مشكلة المياه الأرضية ، والتي ارتفع منسوبها في السنوات الأخيرة، وأصبحت تمثل المشكلة الأوْلى بالحل .

وإذا كانت الدراسات العلمية تعني في نتائجها بوضع التوصيات ، وتفاصيل الإجراءات التي ينبغي الالتزام بها وتنفيذها ، فإن ما تم تطبيقه وتنفيذه من إجراءات الترميم والصيانة لمدينة القاهرة التاريخية، لا ينفصل عن تلك الدراسات ، بل هو ترجمة لها ، وأخذاً بالنتائج والتوصيات التي ترقى إلى إمكانية تنفيذها في الواقع ، وفي نفس الوقت تنسجم مع القواعد والأسس العلمية المنظمة لصيانة المدن التاريخية ، والمواقع الأثرية ، ومن هذه الإجراءات :

١- صدور القانون رقم ١١٧لسنة ١٩٨٣ م ، والذي أهتم في كثير من مواده الصيانة المباني الأثرية ، ومحيطها العمراني . واستكمالا لذلك ، فقد صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٢٨ لسنة١٩٩٠ م بشأن تحديد ارتفاعات المباني في بعض المناطق بالقاهرة التاريخية، ثم تلي ذلك صدور القرار الخاص بتحديد معالم وحدود مدينة القاهرة التاريخية ، وآثارها، وذلك في عام ١٩٩٣م ، وموضحا ذلك بخريطة معتمدة ، وموقع عليها حدودها ، وكشوفا مرافقة مدونا بها المباني الأثرية الواقعة داخل هذه الحدود .

٢- الكشف عن أجزاء من سور المدينة القديمة ، والقيام بترميم أجزاء أخرى ، كون السور يمثل أهم ملامح المدينة القديمة، ويعتبر ضمن ما ينظر إلية في أولويات إجراءات الصيانة.

٣- لما كانت المياه الأرضية ، وارتفاع منسوبها في السنوات الأخيرة ، واتصالها بأساسات المباني، تمثل السبب الرئيسي لتلف هذه المباني ، فقد أتخذ حيال ذلك عديد من الإجراءات:

أ- استخدام وسائل متعددة لحماية أساسات عدد من المباني الأثرية من تأثيرات هذه المياه المدمرة ، ومن ذلك : استخدام أسلوب الخوازيق الإبرية الحاملة. Micro – piles ، كما هو الحال في مدرسة الغوري وجامع البنات – استخدام الشرائح المانعة لارتفاع الرطوبة بالحوائط .DPC ، كما هو الحال في مسرح الدراويش– استخدام أسلوب الـ Draintiles ، والذي يقوم على أساس سحب المياه بمعدل مناسب ، وتصريفها بشبكة الصرف الصحي ، وقد طبق ذلك في جامع الصالح طلائع .

ب- تجديد وتحسين شبكات الصرف الصحي ، وتعميق مستواها ، مثل ما تم تنفيذه حلا للمشاكل التي تواجه خانقاه ومسجد الأمير شيخو عند ترميمهما .

٤- وضع برنامج الترميم وصيانة كثير من المباني الأثرية المتضررة من تأثيرات المياه الأرضية ، أو التي تأثرت بزلزال عام ١٩٩٢ م . ولكثرة ما تحتويه المدينة من مبان أثرية – حوالي ٦٠٠ مبني – فأن هناك الكثير منها الذي يحتاج إلي التدخل السريع .

٥- وللمحافظة على وجه المدينة التاريخي ، والآثار السلبية الناتجة عن مشاكل مرور السيارات ، اتخذت بعض الإجراءات التي تحد من كثافة المرور داخل شوارع وحارات المدينة ، وأهم هذه الإجراءات ، إحداث نفق أسفل شارع الأزهر – الذي يمر قاطعا المدينة من غربها إلي شرقها – بادئا من ميدان العتبة ومنتهيا مع شارع صلاح سالم .

٦- الالتزام بما نص علية القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٨٣ ، في شان إعادة البناء داخل إطار المدينة القديمة ، ووضع نماذج مختلفة لنمط المباني لدى الإدارات المحلية للأخذ بها ، والتنفيذ على أساسها .

٧- توظيف ، وإعادة استخدام كثير من المنازل الأثرية ، وفي وظائف مناسبة إلى حد كبير .

٨- الاهتمام باستمرارية بقاء الحرف التقليدية ، وذلك بتوظيف بعض المباني الأثرية كمراكز لهذا الغرض .

٩- مازالت مشكلة الأسر المقيمة ببعض المباني الأثرية ، أحد المشاكل التي هي في سبيلها إلي الحل ، إذ يحتاج هذا الأمر إلي دعم مالي كبير . ونفس الحال بالنسبة للورش والصناعات غير الملائم تواجدها بالمدينة .

١٠- ولما كانت مدينة القاهرة التاريخية تتميز بكثرة ما تحتويه من مباني أثرية ، وأيضا كثرة ما يواجهها من مشاكل ، فقد فتح الباب للبعثات الأجنبية للقيام بترميم كثير من المباني الأثرية ، وعمل الدراسات العلمية لمبان أخرى ، إضافة لإحداث نوع من التعاون بين المجلس الأعلى للآثار ، ووزارة التعمير والإسكان ، كبيت خبرة في التخطيط العمراني ، وتنفيذ بعض الأعمال الهامة في مجال الترميم .

١١- إفساح المجال للدراسات العلمية التطبيقية لطلبة الدراسات العليا بقسم ترميم الآثار بجامعة القاهرة ، لإجراء المعاونة في صيانة المدينة ، وكذلك الحال بالنسبة لطلبة كليات الهندسة والفنون الجميلة قسم العمارة .

١٢- ونظرا للمشاكل الاجتماعية المتمثلة أساسا في الزيادة السكانية ، إلي جانب القصور في النواحي المالية ، لم يتخذ أي إجراء حيال المباني السكنية التي أقيمت على نمط وأسلوب مغاير لطبيعة المدينة القديمة ، والتي بني معظمها قبل قانون لسنة ١٩٨٣ م .

٢- في إطار إعادة الاستخدام للمباني الأثرية التي توقف استخدامها :

تعتبر مدينة القاهرة التاريخية من المدن القليلة التي أعيد استخدام كثير من مبانيها التاريخية والأثرية التي توقف استخدامها وبالتالي يمكن اعتبارها – إلي حد كبير – نموذجا مميزا في هذا الاتجاه .كما أن نمط الوظائف المختارة ينسجم إلي حد كبير مع طبيعة المدينة ، وطبيعة المباني التي أعيد استخدامها ، وتمحورت الأنشطة والوظائف التي وظفت فيها هذه المباني حول إحياء وجه المدينة التقليدي ، سواء كان ذلك تنمية وإحياء للحرف التقليدية ، أو متاحف ، أو لأنشطة ثقافية متنوعة ، ومن أمثلة ذلك [٢٦] :

أ- بالنسبة للمباني التاريخية خارج نطاق القاهرة القديمة :

وظفت كثير من المباني التاريخية الموجودة خارج نطاق القاهرة القديمة ، والتي أغلبها يرجع تاريخه إلي نهاية القرن ١٩ م ، وبداية القرن العشرين ، ومن أمثلة ذلك : قصر الأمير عمرو إبراهيم بالزمالك (١٩٢٤م) ، والذي وظف متحفا للخزف الإسلامي ، وقاعات العرض الفنون التشكيلية ، ومسرحا مكشوفا ، وقاعة سينما ومكتبة – قصر سراي الجزيرة (١٨٦٩م) ، وظف كفندق (فندق عمر الخيام) – قصر الطحاوي (بدايات القرن العشرين) ، وظف كمكتبة (مكتبة مبارك) – قصر الأميرة سميحة كامل بحي الزمالك ، وظف مكتبة عامة (مكتبة القاهرة الكبرى) .

ب- بالنسبة للمباني الأثرية داخل نطاق القاهرة القديمة [٢٧] :

يعتبر ترميم المباني الأثرية وإعدادها لتوظيفها ، من أوضح ملامح إجراءات الصيانة التي تم تنفيذها داخل مدينة القاهرة القديمة ، إذ تعددت النماذج في هذا الإطار ، وبالتالي تعددت مسميات الوظائف التي تم تنفيذها . وبصفة عامة ، فإن أهم الملامح التي تميز تطبيقات التوظيف للمباني الأثرية ، ما يلي :-

١- إمكانية استخدام المبني الأثري في أكثر من وظيفة ، وذلك في حالة كبر حجم المبني، وتعدد غرا فاته ، كما هو الحال في قصر الغوري ، والذي يحتوي على المقعد ، والسبيل ، والكتاب، والضريح : المقعد : قاعدة للعرض المسرحي للفنون الشعبية . السبيل : مكتبة تفتيش آثار . الكتاب : لم يوظف .

الضريح : مكتبة عامة + قاعة العرض الفنون التشكيلية . ونفس الحال بالنسبة لوكالة الغوري (٩١٠ – ٩١٢ هـ) ، والتي لاتساعها وتعدد غرا فتها ، فقد ضمت عديد من الأنشطة :

أ- مركز الإحياء الحرف التقليدية ، كالطرق على النحاس ، وأعمال الخزف ، والخشب والجص .

ب- مراسم أو إتيليهات لفناني وزارة الثقافة .

ج- عروض للفنون التشكيلية بصحة الوكالة على فترات .

د- عرض مسرحي بصحن الوكالة ، خاصة في شهر رمضان من كل عام .

هـ- مكاتب إدارية للإشراف والمتابعة لهذه الأنشطة .

٢- نظرا لكون المجلس الأعلى للآثار – المنوط به الأشراف على الآثار والتراث المصري بشكل عام – يتبع وزارة الثقافة ، فقد كان لأنشطة الوزارة النصيب الوافر من استخدام المباني الأثرية عند توظيفها .

- مراسم أو أتيليهات لفناني وزارة الثقافة ← وكالة الغوري ، ومنزل عبد الرحمن الهراوى ، ومنزل على لبيب .

- العروض المسرحية ← في قصر الغوري ، ووكالة الغوري ، ومنزل عبد الرحمن الهراوي .

- معرض للفنون التشكيلية ← في منزل زينب خاتون ، ومنزل عبد الرحمن الهراوي ، ووكالة الغوري ، وقصر الغوري .

٣- التركيز على إحياء الحرف الأثرية التقليدية ، وإدراك أهمية ذلك في وكالة الغوري ، وفي بيت السناري ، وتخطيط لذلك أيضا في المشاريع المستقبلية .

رابعاً : نتائج الدراسة :

وقبل الدخول في تفاصيل نتائج هذه الدراسة ، وملاحظة أي تباين من بلد إلي أخر في مناهج الصيانة وتطبيقاتها للمدن التاريخية والمواقع الأثرية ، فإن ينبغي أولا الإشارة إلي أن ذلك التباين يمكن أن تكون أسبابه :

أ- أن القوانين والمواثيق الدولية المنظمة لمثل هذه الأعمال ، قد تميزت بالعموميات في معاني نصوصها ، وتركت دقائق التفاصيل لكل بلد حسب ظروفها .

ب- اختلاف الظروف السائدة (اجتماعية – اقتصادية – مناخية – وخلاف) بين بلد وآخر .

ج- تفاوت درجة ومستوي الاهتمام بالتراث ، وضرورة صيانة ، بين بلد وآخر .

د- مدي توافر الخبرات في مجال الترميم والصيانة .

هـ - أن هذا التباين يمكن أن يكون مرتبطا بخصائص تراث ما ، أي ملامح أصالة ، مما يجعل من الضرورة تعيين وتحديد هذه الملامح ، لكي تؤخذ في الاعتبار عند كل إجراء يتعلق بالمنطقة المعنية بالصيانة .

ومن واقع الدراسات والتطبيقات المتعلقة بالصيانة للمناطق الأثرية ، وفي أنحاء مختلفة من العالم، يمكن استخلاص النتائج التالية:

١- اتفقت معظم الدراسات والتطبيقات في هذا المجال، على أن الحفاظ على المناطق الأثرية، هو حفاظ على ما تتميز به من صفات وخواص :

أ- النماذج العمرانية ، والكتل ، والشوارع ، والفراغات (النسيج العمراني).

ب- العلاقات بين الأبنية والمساحات الخضراء ، والفراغات المفتوحة .

جـ- المظهر الخارجي والداخلي للأبنية ، والذي يظهر من خلال الحجم والطراز واللون ومواد البناء .

د- الوظائف المتعددة التي مارستها هذه المناطق على مر العصور ، وأي تهديد لهذه الوظائف يؤثر بالسلب على أصالة المنطقة التاريخية .

ولتحقيق ذلك :

١- الترميم للمباني الأثرية ، وتأهيلها ، وإعادة استخدامها .

٢- لا تدمير أو تعديلات يمكن أن تغير من علاقات الموقع الأثرى .

٣- لا يجوز اختراق طرق سريعة للمناطق التاريخية .

٤- يجب أن تنسجم المهن الجديدة والفعاليات الوظيفية مع صفات المناطق التاريخية .

٥- احترام المخطط الفراغي عند إقامة أبنية جديدة .

٦- مراقبة حركة النقل ، ودخول السيارات داخل المنطقة الأثرية ، وتحديد مساحات مخصصة لانتظار السيارات .

٧- وضع قواعد بناء مبان جديدة داخل هذا المحيط ، لتأكيد أن عمارتها تتوافق وتنسجم مع الحيز المكاني لمجموعة المباني الأثرية .

٨- الاهتمام بالبنية التحتية .

٩- الاهتمام بما هو متواجد من حرف وأنشطة تقليدية ، وتطويرها .

١٠- حل مشاكل المباني التي أقيمت داخل إطار المنطقة الأثرية بأسلوب مغاير .

١١- عدم إجراء أي أعمال داخل هذا المحيط ، إلا بالرجوع إلى الجهات المسئولة .

١٢- الاهتمام بالإبقاء على منطقة السوق بالمنطقة أو المدينة التاريخية ، كون هذا الملمح يعتبر هاما ، ومعبرا عن ديناميكية المكان ، بحركته وتداخلاتها .

١٣- وتطوير لهذا المحيط ، كان توفيرا لمتطلبات في الميادين التربوية والثقافية والصحية والإدارية ، وغير ذلك .

وتتباين أساليب التطبيق لهذه العناصر من مكان إلي آخر ، فعلى سبيل المثال :

- ففيما يتعلق بالحرف التقليدية والحرفيين، أنشئت في مدينة " فاس " منطقة جديدة للحرفيين على امتداد مثيلاتها بالمدينة القديمة ، حلا لمشكلة الزيادة السكانية بالمدينة القديمة ، في حين أبقي على بعض المباني التي تقرر هدمها في مركز حي " ماري " بباريس ، لتوظيفها في مجال الحرف التقليدية . أما في بولندا ، فقد أنشئت شركة للترميم الهدف منها هو التدريب على الصناعات الحرفية التقليدية ، وتقنيات البناء القديمة ، مساعدة لأعمال الترميم ، واستمرار لتواجد هذه الحرف . وفي مدينة القاهرة ، كان استغلال أو توظيف بعض المباني الأثرية كمراكز لتعليم الصبية على الحرف التقليدية ، مثل أعمال الخشب و المعادن ، وغيرها .

- وفيما يتعلق بحل مشاكل المرور :

▪أماكن انتظار قريبة من الأنشطة داخل المدينة (بغداد) .

▪جراجات تحت الأرض (في كثير من المدن الأوربية – سالزبورج) .

▪أنفاق لعدم قطع النسيج العمراني (القاهرة – منطقة باب الشيخ ببغداد) .

▪استخدام السياحات داخل المدينة ، والتي تمثل ملمحا من ملامح المدينة ، كساحات انتظار للسيارات ، مع تحديد محاور الدخول والخروج إلي الامتداد العمراني خارج إطار المدينة القديمة (مدينة صنعاء القديمة) .

- أسلوب إعادة البناء داخل إطار المناطق الأثرية :

▪إعادة البناء من طابق أو طابقين أو ثلاثة طوابق بنظام حديث ، وبملامح خارجية تتمش مع المباني القديمة التقليدية (بغداد) .

▪استبدال واجهات المحال التجارية بواجهات تقليدية (حي باب الشيخ ببغداد) .

▪إحداث ملامح تقليدية بواجهات العمارات الحديثة باستخدام المشربيات ، وكسوة الحوائط باللون البيض (مدينة جدة) .

▪إصلاح المباني المحيطة ذات الطابع الحديث إصلاحا مطابقا ، أو تعديلا تدريجيا على الأمد الطويل (مدينة تونس) .

▪وضع قواعد ، ونماذج لأنماط المباني ، والتي يلتزم بها كل من يريد إعادة بناء منزل داخل إطار المدينة القديمة (مدينة القاهرة) .

- مصادر التمويل التنفيذ :

▪مصادر محلية وطنية ، مثل البنوك، والاكتئاب العام ، والصناديق الخاصة (مدينة فاس).

▪مشاكل السكان ومنحهم دعما ٢٠% ، و٦٠% قرضا ، وإذا ما رفض المالك ، صودر المبني (باريس) .

▪مساعدات مالية مقابل التكاليف ، أو جزء منها (بغداد) .

▪وفيما يتعلق بالحفاظ على المباني الثرية ذات الملكية الخاصة ، والتي تتواجد بالموقع الأثري، فقد تباينت المناهج وأساليب التطبيق من مدينة إلي أخرى :

▪ففي مدينة صنعاء القديمة ، واستجابة من بعض الملاك ، وإدراكا منهم بقيمة المدينة القديمة، وتدعيما لخطة الصيانة ، فقد قام البعض منهم بإهداء أو بيع منازلهم ذات القيمة ، إلي المكتب التنفيذي لحماية مدينة صنعاء القديمة، والذي تولي إدارة وصيانة هذه المباني ، وتوظيفها في وظائف مناسبة . وبالإضافة إلي ذلك ، ولما كانت منازل المدينة القديمة كلها لها طابعها الخاص ، فقد ألزم كل مالك بإتباع الأساليب التقليدية المميزة للعمارة اليمنية عند كل تجديد لطوابق المنزل – خاصة العلوية منها – أو عند إعادة بنائه .

▪وفي مدينة " سبليت " بيوغسلافيا سابقا ، وبسبب الكثافة السكانية ، وتضاؤل المناطق السكنية ، فقد أعيد بناء البيوت القديمة ، وترميمها ، ثم تحويلها إلي مرافق خدمية ، أو إلي شقق تحتوي على وسائل الراحة الحديثة . أما بعض المباني الآيلة للسقوط ، والتي لا تحمل قيمة فنية أو تاريخية ، فقد تم إزالتها .

▪مصادر المباني إذا رفض مالكيها القيام بأعمال الترميم اللازمة والتي تدعمها الحكومة ، كما هو الحال في ضاحية "ماري " Marais بباريس .

▪أما في مدينة حلب بسوريا ، فقد تم وضع خطة لاستملاك بعض المباني الهامة التي يخشى عليها من التخريب ، صيانة لها ، وإعادة استخدامها في وظائف تناسبها ، أو في وظائفها الأصلية .

▪وفي منطقة السوق بمدينة إسطنبول (تركيا) ، وبسبب ما تقرر أن تكون هذه المنطقة قاصرة على الاستخدامات العامة ، فقد تقرر أن تؤول الأوقاف إلي الملكية العامة .

▪وفي مدينة جده ، كان التشجيع لأصحاب المباني القديمة ، بإعادة تخطيط استخدام هذه المباني ، وتحويلها من أطلال قديمة ، إلي أسواق ومطاعم لأكلات شعبية ، أو مصانع يدوية لمنتجات تقليدية أو شكت على الانقراض .

▪أما فيما مدينة القاهرة ، فقد روعي إصلاح وتعديل واجهات المباني المتاخمة للمباني الأثرية.

▪أما فيما يتعلق بإعادة الاستخدام ، أو التوظيف للمباني الأثرية ، فقد لوحظ اختلاف أساليب التطبيق من دوله إلي أخري ، وذلك ارتباطا بالعمق التاريخي ، والعراقة الحضارية ، ففي المجال العربي والإسلامي ، كان التوظيف للمباني الأثرية موجها في الغالب إلي إحياء ما لهذا الأمم من تراث ، وبالتالي كانت المسميات الغالبة للوظائف : متحفا للآثار – إحياء وتطوير الحرف التقليدية – متحفا للموروث الشعبي – معاهد وطنية للتراث – مركز إعلامي وتوثيقي للمدينة القديمة . وعكس ذلك ، وافتقادا للعمق التاريخي ، كانت مسميات التوظيف غالبا : بنك – فرع لبنك – شركة تجارية – فروع لشركات تجارية – قاعات للمحاضرات .....الخ

٢- ورغم ما هو واضح من تباين في أساليب التطبيق، إلا أن أوجه الاتفاق قد اتضحت في:

أ- الإحساس بقيمة التراث ، ومن ثم أهمية صيانته .

ب- الالتزام ، والتطبيق بشكل عام لما نصت علية المواثيق الدولية ، وما أفرزته المؤتمرات العلمية المتعلقة بحماية وصيانة التراث الإنساني .

جـ - اتفقت معظم الدول على أهمية إحياء الحرف التقليدية ، سواء لما يمثله ذلك من استكمال لعناصر المدينة التاريخية ، أو ما يفيد في أعمال الترميم للمباني الأثرية .

د – وفي مواجهة المستجدات الحديثة ، وذوبان المناطق التاريخية فيما يجاورها من إمتدادات مستحدثة ، كان الإسراع في وضع الخطوط المحددة للمنطقة التاريخية ، وتوجيه برامج الصيانة إليها ، وتنفيذ القوانين المنظمة على ما تضمه هذه الحدود .

هـ - ورغم وضوح الهدف ، والمنهج الذي ينبغي إتباعه ، وإمكانية التطبيق في كل الحوال ، إلا أن ذلك ليس بالسهولة والإمكانية المطلقة ، إذ أن إجراءات الصيانة والتطوير لمنطقة تاريخية ، ما هي إلا معادلة صعبة لكيفية تطويع الحديث ليتناسب ويتفق مع القديم ، ولا يشوهه ، ويلي في نفس الوقت رغبات ساكني هذه المناطق .

وبصفة عامة ، فإن مناهج وأساليب الصيانة وتطبيقاتها للمناطق الأثرية والمدن التاريخية ، تحكمها المعطيات التي يفرزها كل موقع ، و أن ما ينشأ من تباين بين موقع وآخر ، يمكن النظر إلية كتجارب ينبغي الإطلاع عليها ، والاستفادة منها .

المراجع

(1)Marasovic, T,.; Methodological Proceedings for the Protection and Revitalization of Historic Sites (Experiences of Split). " International Centre for the Study of the Preservation and the Restoration of Cultural Property, Rome,1975 ."

(2)Wildman,D.; Renewal of towns by preservation and integration of historical monuments and historical valuable town Centres." International committee of historic towns and villages,ICOMOS, 1993,P.197-198 .

(3)Tiesdell, S., Taner Oc, Heath, T.; Revitalizing Historic Urban Quarters. Great Britain, Hartnolls Ltd,1996 . P . 101-106 .

(4)Bogdanowski , J.;Methodogical problems in Urban– Landscape Reconstruction, A town – Case of Historic town: Kazimierz in Poland."International Committee of Historic Towns and Villages" ICOMOS, 1993 .P .218 – 229 .

(5)Nazih Eldem, Melih Kamil and Atilla Yücel ;A plan for Istanbul's Sultanahmet – Ayasofia Area . Proceeding of Seminar Two in the series: Architectural transformations in the Islamic world held in Istanbul , Turkey , Sept . 26 –28, 1978 .P .53 – 54 .

(6)Damis , S . ; The development of conservation programme for Jakarta .Proceedings of seminar Two in the series: Architectural transformations in the Islamic world . Held in Istanbul, Turkey , Sept . 26 –28, 1978 .P .46 – 49 .

(7)Wildman , D. ; Op. Cit., P. 184 – 191 .

(٨) أسامة حلمي محمد حسن : الحفاظ على الموروث المعماري في المدينة المصرية . دراسة على محافظة المنيا . رسالة ماجستير ، كلية الهندسة جامعة المنيا – ١٩٩٦ م .صـ٤ .

(9)Fletcher , S.B . ; A history of Architecture on the Comparative study. 7 Edition, University of London , 1964 .P .100 .

(10) Ibid, P .100 .

(11) Marton, D. ; Helmsley palace (Villarol House).Prog. Arch.; 11/1981, PP. 96 – 100 .

(١٢) أسامة حلمي محمد حسن ، المرجع السابق ، صـ٥١ .

(13) Marasovic , T. ; Op .Cit .,

(14) Damis, S. ; Op .Cit ., PP. 46 – 49 .

(١٥) عبد الباقي إبراهيم (دكتور): تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية . القاهرة ١٩٨٢ صفحات ١٠٧ – ١١٣ .

(١٦) المرجع نفسه ، صفحات ١٢٣ – ١٢٥.

(١٧) م . جون ورنر ، م . محمود العلي : صيانة وتجديد الأحياء القديمة بمدينة بغداد .مجلة عامل البناء – العدد٣١ لسنة ١٩٨٣م.

(١٨) شوقي شعث (دكتور) : صيانة المدن العربية الإسلامية – مدينة حلب كنموذج. المؤتمر التاسع للآثار بصنعاء لسنة ١٩٨٠م .المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم . تونس لسنة ١٩٨٥ . صـ ٣١ – ٥٠ .

(١٩) عزام كتخدا(دكتور)، خلدون فنصه(مهندس) : ترميم وإعادة تأهيل المباني في حلب القديمة . المؤتمر العربي لترميم وإعادة تأهيل المنشآت ١٦ – ١٩ سبتمبر لسنة ١٩٩٨م. القاهرة : صفحات ١١٤٧ – ١١٦٤ .

(٢٠) عبد الباقي إبراهيم ، المرجع السابق ، صفحات : ١١٧ – ١٢٢ .
* من خلال زيارة لمدينة تونس ، سبتمبر لسنة ١٩٩٧ م .

(٢١) غسان برجس عبود (دكتور مهندس): إعادة تأهيل السكن القديم في جبل العرب(سورية) المؤتمر العربي لترميم وإعادة تأهيل المنشآت القاهرة ١٦ – ١٩ سبتمبر لسنة ١٩٩٨م، صفحات٥٩ –٩٧٣ .

(٢٢) عزام كتخدا ، خلدون فنصه ، مرجع سابق ، صفحات ١١٤٧ – ١١٦٤ .

(23) Barbato, G . ; Restoration Project of the Samsarah.“The restoration Compaign for the Preservation of the old city of Sanaa” UNDP project , 1989 .

(٢٤) السيد محمود البنا : دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة في العصر العثماني. رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة لسنة ١٩٩٣م.
صفحات: ٢٦٢– ٢٦٣ .

(٢٥) انظر في ذلك على سبيل المثال :

- The Conservation of the old City Cairo : A report was originally prepared for the Egyptian government by a UNESCO Consultant team Consisting of Jim Antonion, Stephano Bianca, Sherif EL- Hakim ,Ronald Lewcock and Michael Welbank. It was updated in Nov. 1984 .

- حازم محمد إبراهيم :٢٧ ــ٥٤ .

- Saleh Lamei Mostafa ; Rehabilitation & Restoration of A Historic Area, the Batiliyya District, Cairo. Symposium of Ardite ctural heiutage in Africa, Cairo , 1988.

- Daryl Fowler ; Conservation Priorities in Cairo today . The Restoration and Conservation of Islamic Monument in Egypt . American University in Cairo Press, 1995 . 13 – 15 .

- السيد محمود البنا : بعض ملامح استراتيجية الصيانة لمدينة القاهرة الإسلامية القديمة. مجلة الآثار جامعة القاهرة العدد السادس ١٩٩٥ م .

- السيد محمود البنا : التلوث البيئي للمدن التاريخية (عدم تجانس الطابع المعماري والفني). مجلة الآثار جامعة القاهرة العدد الثامن ١٩٩٧ م .

- السيد محمود البنا، أحمد سيد شعيب : بعض معايير إعادة الاستخدام أو التأهيل للمباني الأثرية التي توقف استخدامها.مجلة كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي ١٩٩٧ م .

(٢٦) انظر في ذلك : السيد محمود البنا ، أحمد سيد شعيب ، المرجع السابق .

(٢٧) المرجع نفسه.

صورة رقم (١)
أحد المنازل القديمة التي تم المحافظة عليها بمدينة جدة.

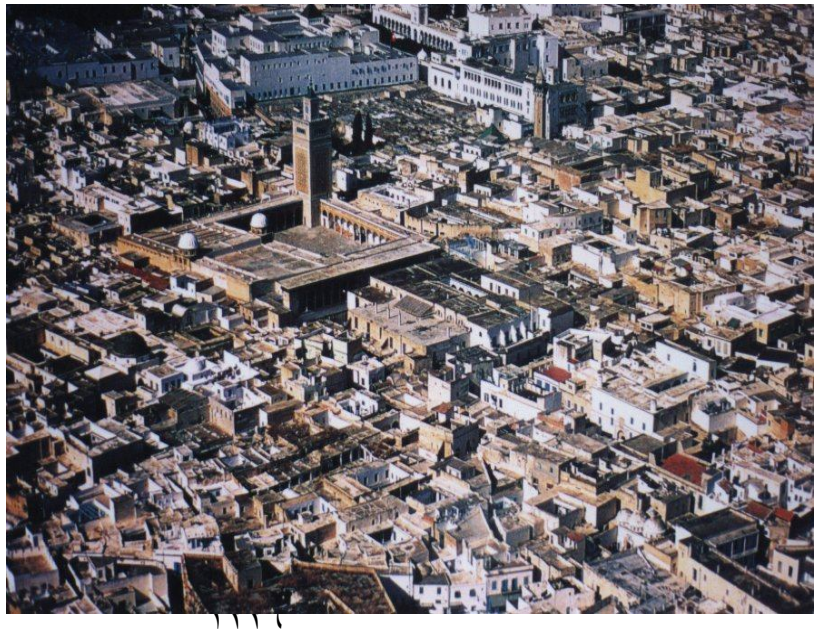

صورة رقم (٢)
منظر عام لمركز مدينة تونس، يتوسطه جامع الزيتونة

صورة رقم (٣)
مدرسة الباشية ومئذنة جامع الزيتونة بمركز مدينة تونس التاريخية –تبليط الشوارع والحفاظ علي المحيط المعماري للمنطقة ..

صورة رقم (٤)
المحيط المعماري المتميز لمدينة صنعاء القديمة ،نموذج فريد تمت المحافظة علية .

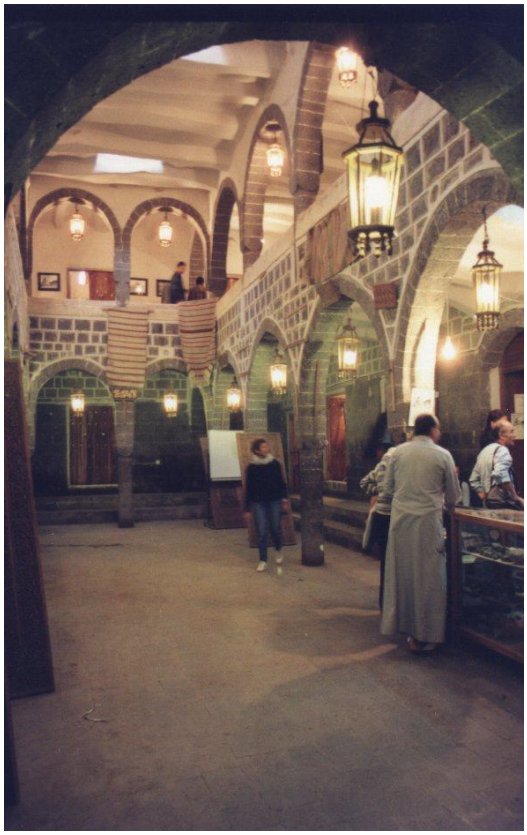

صورة رقم (٥)
سمسرة النحاس بمدينة صنعاء القديمة،أعيد استخدامها مكركز وطني لتطوير الحرف التقليدية

.

صورة رقم (٦)
أحد المنازل بمدينة صنعاء القديمة (منزل مطهر الفليحي) تم توظيفة كمركز تعليمي لخدمة المجتمع (مشغل لأعمال الخياطة والتطريز)

صورة رقم (٧)
دار السعادة (سكن الإمام يحيى حميد الدين) وقد أعيد استخدامها متحفاً وطنياً –صنعاء- اليمن.

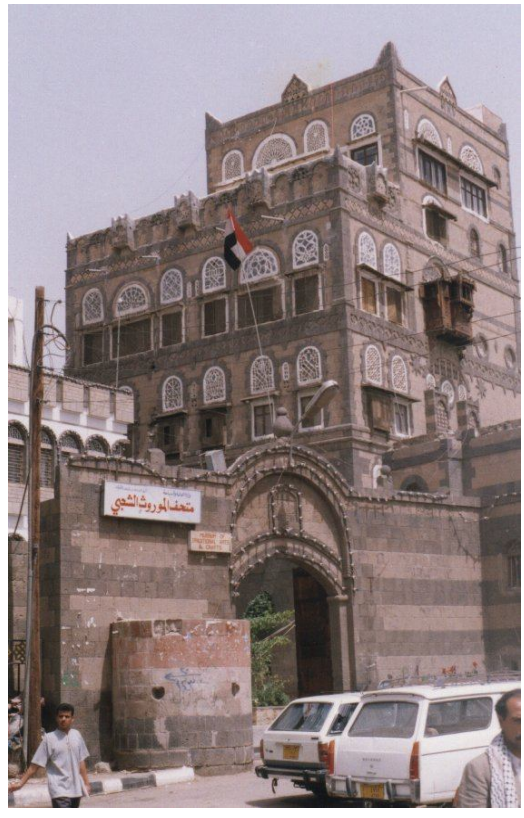

صورة رقم (٨)
دار الشكر – أحد البيوت التى سكنها اظلئمة وقد أعيد استخدامها متحفاً للموروث الشعبى –صنعاء اليمن.

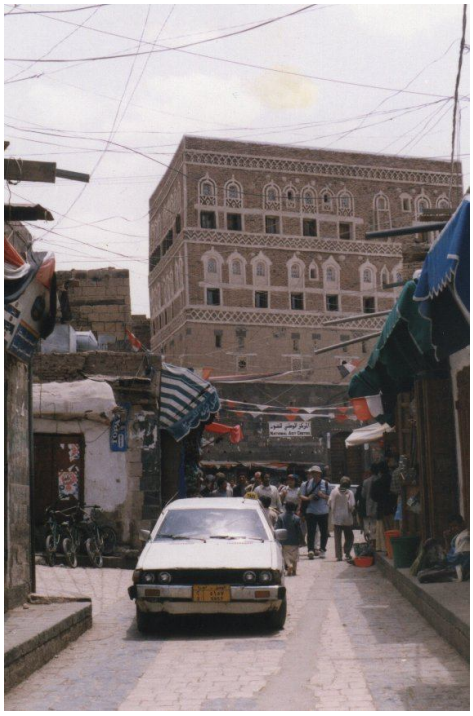

صورة رقم (٩)
سمسرة المنصورة أحد السماسر الكبيرة بمنطقة السوق بمدينة صنعاء القديمة وقد أعيد استخدامها مركزاً وطنياً للفنون.

صورة رقم (١٠)
دار بن عبد الله (ق ١٩) بمدينة تونس وقد وظفت متحفاً للعادات والتقاليد الشعبية التونسية.